كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلـــة الرابعة

مادة: المدارس الحديثية

Article: Modern schools

عنوان المحاضرة: نشأة المدرسة وأثر الصحابة فيها

The title of the lecture is: The establishment of the school and the effect of the companions on it

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

حتى تكتمل الصورة لدى حضاراتكم ، نرى من الضروري أن تكون لنا وقفة مع تكوين النشأة الأولى للمدرسة ، ولابد من إبراز دور الصحابة الكرام لاعتبارات كثيرة ، منها أنهم الرعيل الأول الذين تحملوا كل هذا العلم من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم من بعد قاموا بنشره بين الآفاق .

أقول وبه أستعين : عرَّفنا المدرسة فيما سبق ، وحتى لا يتصور العقل أن المدرسة بمفهومها الحالي هي نفس مفهومها في الوقت الماضي ، لأننا قلنا أن المدرسة هي عبارة عن شيوخ، وتلاميذ، ومنهج، بغض النظر عن الزمان والمكان ، ويجب أن ينحصر في الذهن ذلك التصور، لم تكن هناك بناية محددة ولا صفوف أي قاعة دراسية وإدارة وغيرها كما هي الحال الآن، لهذا سنبحث في هذه المحاضرة عن كيفية التلقي من الشيخ إلى الطالب ، وينصرف الذهن على هذه الصورة إلى ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام ، ومما لا شك فيه، أن زمان المدرسة الحديثية ابتدأ منذ عهد النبوة، إذ ابتدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم، لما كان عليه الصلاة والسلام يجتمع بأصحابه فيها، يعلمهم القرآن، وأمور دينهم، وهذا في مكة، ثم كان بعد ذلك في المسجد في دار الهجرة حيث هناك كان التعليم والتعلم[1].

قال تعالى : ((**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**))[2].

[1] - الخطط للمقريزي:٢٦٤/٢، والسيوطي في حسن المحاضرة:٢١٢/٢ .

[2] - النور : الآية ٣٦ .

وروى الإمام البخاري عم ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)[٣].

ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مدرسة مشيدة، ولا معهد للتعليم، يجلس فيه مدرسة مشيدة، ولا معهد للتعليم، يجلس فيه إلى أصحابه، بل كانت مجالسه العلمية كيفما اتفق، فهو في الجيش معلم وواعظ يلهب القلوب بوعظه، ويبث الحماس بين صفوف الجند بقوله ، وهو في السفر مرشد وهاد، وهو في البيت يعلم أهله، وهو في المسجد مدّرس وخطيب وقاضٍ ومفتٍ.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم بنشر القراءة الكتابة بين الصحابة، فقد عيّن صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعيد بن العاص، وكان كاتباً، ليعلّم الكتابة بالمدينة[٤].

بعد الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة الكرام في الأمصار، ونزحوا إليها، وتفرقوا فيها، معلمين، وعقدوا مجالسهم للتحديث والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد، ومن ذلك: جلوس أبي هريرة للتحديث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥]، وجلوس أبن مسعود للتحديث كل خميس[٦].

وهكذا هو الحال بينهم رضوان الله تعالى عليهم، لم يدخروا جهدا في إيصال وتبليغ ما تحملوه من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن دور الحديث التي كونها الصحابة الكرام، دار الحديث في مكة، والتي تزعمها معاذ بن جبل، بعد فتحها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تزعمها من بعده ابن عباس بعد رجوعه من البصرة، وتخرج على يديه جملة من التابعين، منهم: مجاهد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم كثير .

يذكر ابن القيم أثر الصحابة في تكوين بعض المدارس في الأمصار، فقال: " والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر[٧] .

لهذا فإن الباحث في مدرسة معينة، لابد له أن ينطلق من المؤسس لهذه المدرسة من الصحابة، حتى يبين أثره فيها، وكذلك بيان مدى التطور الذي أحدثه التابعون، من بعدهم .

هذا هو أنموذجاً مبسطاً لنشأة المدارس ، أو المدرسة بمفهومها القديم .

وأسأل الله أن ينفع بكم ، والحمد لله رب العالمين .

---

[٣] - صحيح البخاري: ٣٨/١، برقم (٦٨)، كتاب: العلم ، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم ... .
[٤] - الإصابة لابن حجر: ١٠٢/٢، برقم(١٧٧٩)، ترجمة الحكم بن سعيد بن العاص، سماه النبي صلى الله عليه وسلم: عبد الله .
[٥] - صحيح مسلم: ١٩٣٥/٤، برقم (٢٤٩٢) .
[٦] صحيح البخاري: ٣٩/١، برقم (٧٠) .
[٧] - إعلام الموقعين: ٢١/١ .

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري الهيتي

المرحلـــة : الرابعة

Article: Modern schools

مادة: المدارس الحديثية

The title of the lecture: The definition of the school, and its origin

عنوان المحاضرة : تعريف المدرسة ، ونشأتها .

المحاضرة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

رافقت الفتوحات الإسلامية ودخول الناس في دين الله، حملة كبرى في نشر تعاليم الإسلام وتوضيح مفاهيمه للداخلين الجدد، ونتيجة ذلك انتشر العلم في البلاد، مع تحول نقلته كل حسب الموطن الذي استقر فيه أو ذهب إليه، فعلى سبيل المثال نجد عبد الله بن مسعود رضي الله عته استقر في الكوفة، ،انس بن مالك استقر بالبصرة، ومعاذ بن جبل في اليمن.... وهكذا

ولما كثر الاشتغال بعلوم هؤلاء الصحابة وتناقلته الطلبة جيلاً بعد جيل، انبثق علم وبرز بين العلوم ما سمي بوقت لاحق ب((معرفة الأوطان للرواة))، ونستطيع القول أن هذا الأمر كان الأساس واللبنة الأولى لنشأة المدارس الحديثية والفقهية والعقائدية.

وباستقرار الحكم في البلاد واستتاب الأمن المجتمعي، أخذت العلوم بالتطور من حيث التصنيف والرواية، والاهتمام بها.

وفيما يتعلق بالحديث ، فقد اهتم العلماء بجمع الحديث النبوي وروايته ودراسة أسانيده،، فعقدوا لهذا مجالس الإملاء والدروس في المساجد، وحدث فيها العلماء من حفظهم ومن كتبهم الموثقة والمضبوطة، بل ورحل الطلاب لسماعه من بلدان شتى للسماع من الشيوخ والالتحاق بهذه الحلقات التي انتشرت في كل البلاد الإسلامية، وهذا ساهم مساهمة كبيرة في بلورة المدارس الحديثية، حيث نشأ لكل بلد سلسلة إسناد خاص به، فأخذ يقال: هذا إسناد بصري، وهذا إسناد كوفي، وذاك إسناد شامي ، وهذا حديث مدني ، أو حديث مكي، كما لا ننسى ،إن هذا التنوع نشأ من خلاله آراء خاصة بعلم الحديث النبوي ، ولاسيما نقد الحديث .

موضوع دراستنا خلال هذا الفصل سيشمل ذلك كله ، وبمعنى آخر دراسة مناهج العلماء في كل بلد استقر العلم فيه وأصبح له رأي في المسائل الحديثية ، كما ويشتمل الدراسة على معرفة مسميات دور هذه المدارس ، ونبين من خلالها أهم المميزات والخصائص لكل مدرسة من تلك المدارس .

ونسأل الله التوفيق .

لا بد لنا وقبل الخوض في تسمية المدرسة ودراسة منهجها واهم ما تمتاز به ، لا بد لنا من التعريف بالمدرسة الحديثية من حيث الدلالة والمضمون .

تعريف المدرسة لغةً :

مأخوذة من د ، ر، س، وهو أصل يدل على خفاء ، وخفض، وعفاء[٨]، ومن ذلك قولهم: الدرسُ بمعنى الطريق الخفي، ويقال : دَرَستُ الحِنطَةَ وغيرها في سنبلها، إذا دستها .

ويقال درسَ المنزل: أي عفا لعدم تعهده بالحفظ والصيانة، ونقول: درسَ الكتابَ يَدرسهُ دَرساً: أي بمعنى ذللته بكثرة القراءة حتى خف حِفظُه [٩].

وقد بين الراغب في مفرادته ، أن معنى الدرس يحوم حول بقاء أثر الشيء، فقال: درسَ الدار: معناه: بقي أثرها، وبقاء الأثر يقتضي انمِحاءَهُ في نفسه، ومن هنا قالوا: دَرَسَ الكتَابُ ، ودَرَستُ العِلمَ : أي تناولت أثره بالحفظ وذلك بمداومة القراءة والدرس .

قال تعالى : **(بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)** [١٠]، وقال تعالى : **(وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا)** [١١].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة.....)) الحديث [١٢].

وقد وردت المدرسة في المعجم الوسيط بمعنى (مكان الدرس والتعليم)، وأيضاً بمعنى جماعة من الفلاسفة، أو المفكرين، أو الباحثين، تعتنق مذهباً معيناً، أو تقول برأي مشترك، ويقال : هذا من مدرسة فلان ، أي على رأيه ومذهبه [١٣].

مما تقدم يستفاد أن العرب تحوم بهذا المعنى حول معاني التأثر جراء تكرر عمل معين، والمعنى العام لهذا مأخوذ من تعهد الشيء وصيانته بتكرار الفعل عليه ، وهذا هو المعنى

---

[٨] - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: ٢٦٧/٢

[٩] - الزبيدي تاج العروس: مادة (درس) ٣٩٣٤/١ .

[١٠] - سورة آل عمران : جزء من الآية: ٧٩ .

[١١] سورة سبأ: جزء من الآية : ٤٤ .

[١٢] - صحيح مسلم:٢٠٧٤/٤، برقم(٢٦٩٩)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

[١٣] - المعجم الوسيط: مادة درس: ١/ ٢٨٠ .

المقصود من الدراسة في مادتنا هذه، لهذا يمكن القول: أن الدراسة: هي القراءة بإعادة وتكرار ومداومة، أو هي: القراءة العميقة .

من هنا ومن المعنى اللغوي: يمكن القول أن الدراسة تطلق على معنيين :

١. أسم مكان من الفعل دَرَسَ، اي المكان الذي يحصل فيه الدرس والتعلم .
٢. ثم تطور هذا اللفظ ، فأطلق على جماعة بينهما آراء مشتركة، بغض النظر عن **زمان** ، أو **مكان** محددين، وهو ما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة .

أما المدرسة اصطلاحاً:

تحديد المفهوم للمدرسة في الاصطلاح مهم جدا ، باعتبار أنها مكان، وشيوخ، وتلاميذ، أو أنهم جماعة بينهما خصائص مشتركة تمتاز بها عن بقية المدارس، دون النظر إلى المكان ، أو الزمان .

١. عرَّف الدكتور أمين القضاة بقوله : هي الشيوخ، والتلاميذ، والمنهج الذي يسيرون عليه [١٤].

٢. تعريف الدكتور محمد عزوز: ذكر انه استخلص مفهوم المدرسة على عدة معان :

أ- نشر الحديث النبوي، ورسم القواعد الأولى لروايته، وهذا تم في مدرسة المدينة المنورة في زمن كبار الصحابة .
ب- نشر الحديث: وتقنين قواعد نقده سنداً ومتناً، وهذا نراه جلياً في مدرسة المدينة المنورة ، وبمدرسة العراق بمراكزها الأربعة : الكوفة ،البصرة ،واسط ، بغداد .
ت- الصحابي المحدث : الذي انتقل إلى مصر من الأمصار، ونشر حديثه وفق المنهج الذي رسم من قبل بالمدينة، فاشتهر، وكثر تلاميذه، وكان مصدر الرواية فيه .
ث- وذكر أيضاً أنه روعي في تصنيف مدارس الحديث عنصرا الزمان والمكان، من حيث تحديد المنهج والتسمية ..... الخ .

التعريف المختار للمدرسة :

ظهر لنا من المعنى اللغوي ، أن المدرسة قد تعني البناء ، وقد تعني المنهج، وهذا هو المقصود في دراستنا هذه ، وحتى إذا اردنا خصائص معينة للمدرسة ، فهذا نجده جلياً في التنوع الحاصل بين المدارس ، إذ أن لكل مدرسة ما يميزها عن غيرها بخصائصها ، لهذا حينما نقول مدرسة الكوفة ، أو مدرسة البصرة ، أو المدينة، أوغيرها ، هذا يدل أن لكل مدرسة من تلك المدارس خصائص ومميزات لا توجد في بقية المدارس الأخرى ، وإلا لكنا أطلقنا عليهم جميعاً المدرسة الحديثية وانتهى دون تخصيص لاسمها بعينه .

[١٤] - مدرسة الحديث في البصرة: ٣٦٦ .

في ضوء ما سبق يمكن أن نعرف المدرسة بشكل عام : بأنها جماعة من الأفراد بينهم جوامع أو خصائص مشتركة تميزهم عن غيرهم في علم من العلوم دون ارتباط بمكان أو زمان .

وأما تعريف المدرسة الحديثية فهي: جماعة من الرواة والمحدثين بينهم خصائص مشتركة تتعلق بوسائل تبليغ الحديث وصيانته – رواية و دراية – دون النظر إلى الزمان أو المكان .

هنا ألفت عناية الطلبة ولابد من التنبيه ، أن أصول المنهج ، والهدف، وأغلب قوانين الرواية متفق عليها بين المدارس الحديثية، وإنما تجد في كل مدرسة ما يميزها عن المدارس الأخرى من وسائل تبليغ الحديث وصيانته وطرق الإيصال ليس إلا .

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري الهيتي

المرحلـــة : الرابعة

Article: Modern schools

مادة: المدارس الحديثية

The title of the lecture: Modern schools in terms of content and concept

عنوان المحاضرة : المدارس الحديثية من حيث المضمون والمفهوم:

المحاضرة (٤)

سنطرح سؤالاً لعصف أذهانكم ولشحذ انتباهكم؛ ماذا نريد من دراسة المضمون للمدرسة؟ وكيف يكون ذلك ؟

من خلال النظر في أساسيات ما احتوته كتب التراجم، وتواريخ البلدان وغيرها من المصنفات التي تعنى بهذا الاتجاه ، وكذلك المصنفات الحديثية عموماً، قد ذكر مصنفوها ما يتعلق بالمحدثين وجهودهم في نشر السنة، كما أن اتجاه المعاصرين تحديداً قد صنفوا في المدارس الحديثية ، وأهم ما يمكن أن تحتويه مادة المدارس في المطالب الآتية :

المطلب الأول يتمحور حول : تحديد نوع الدراسة، وتطابق المحتوى مع المفهوم .

وهذا ينقسم إلى قسمين :

الأول منه : دراسات تناولت مدرسة الحديث في بلد معين ، من ذلك مدرسة الحديث في البصرة، ومدرسة الحديث في الشام، وغيرها من المدارس التي يحددها الدارس والتي تختص بمدرسة واحدة معينة لأظهار قيمها وخصائصها وما تتمييز به .

فهذه الدراسات ركزت بصورة عامة علة منهج هذه المدارس، ثم الشيوخ، والتلاميذ فيها، وأبرز الانتقادات الموجهة إليها إن وجدت .

ثانياً: دراسات تدور حول علم من أعلام تلك المدرسة المشهورين في بلد معين ، حيث يقوم البحث عن محدث مشهورنذكر أهم شيوخه وتلاميذه، ومكانته، وما هي جهوده العلمية، ورواياته وأهم المصطلحات الخاصة به ، وهذا تحصيل حاصل سيكون المؤثر في المدرسة لما سينقل عنه تلامذته.

ويمكن القول أن هناك دراسات بهذا الخصوص ك(مدرسة البخاري في المغرب)[١٥]، حيث ذكر صاحب المؤلف عدداً من المراكز الحديثية المختصة بصحيح البخاري؛ والتي منها دار الحديث الحسنية، والرباطات، والزوايا وغيرها .

وأهم ما يمكن الوصول إليه في هذا الجانب التصنيف في مدارس الصحابة، مثل: مدرسة ابن عمر، ومدرسة السيدة عائشة، ومدرسة أبي هريرة، وغيرها من المدارس التي تناولت صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ما يتعلق بجهود هؤلاء الإعلام ، وهذا طبعاً في كل الأمصار .

ثالثاً: ويمكن أن نلحق ايضاً ما يتعلق بدراسة مدرسة فرعية من المدارس في بعض البلدان ، فمثلاً في بلاد الشام مدارس كثيرة تفرعت من المدرسة الأم ، النوريـة ، والأشرفيـة، والظاهريـة والناصريـة ، وغيرها ، وهذه وغيرها كلها تفرعت من (مدرسة الحديث في الشام) .

ويمكن إجمال ما قلناه من حيث المضمون :

١. الدراسة حول مدرسة في بلد معين ، دون غيره .
٢. دراسة حول علم من إعلامها من المشهورين في بلد معين .
٣. دراسات حول المدارس الفرعية المشتقة من المدرسة الأم .

[١٥] - مدرسة الإمام البخاري في المغرب: ٤٠٤/١ .

ولكن نلفت انتباهكم على أمر مهم جداً ، إن الدارس يجب عليه أن يحدد العصر الذي يبحث فيه عن المدرسة ، إذ أن الحقبة الزمنية بالدراسة والتأريخ مهم جدا لتحديد المسار الذي ينطلق منه الدارس .

الفقرة الأخير التي يجب مراعاتها في هذا الموضوع وهو غاية في الأهمية ، ونضع له عنوان

بيان الضابط في عدّ الراوي من أهل المدرسة :

نقول وبه نستعين ، قد ينسب الراوي، أو المحدث الواحد إلى أكثر من بلد، **السؤال : فإلى أي مدرسة ننسبه ؟؟** .

فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإمام الزهري هو حجازي وكما هو معلوم عندكم ، ولكنه رحل إلى الشّام، وله أثر فيهما معاً، وكما يظهر من ترجمته ، فهل ينسب إلى الحجاز، أو الشام ؟

وكذلك الإمام سفيان بن عيينة، فإنه نسب إلى الحجاز والكوفة معاً، وأثره في الحجاز أوضح، هذا لأنه ترك الكوفة صغيراً، لهذا نرى أن الدكتور شرف القضاة قد أدرجه في مشاهير حفاظ الكوفة، علماً أنه نقل قول ابن مهدي في أن سفيان كان أعلم الناس بحديث أهل الحجاز ! .

ولكن الذي يبدو لي والله أعلم أن مدة بقاء الراوي في بلد معين مهما كانت هذه المدة التي بقاها في هذا البلد لا يدلل على أنه ينسب إليه مهما أطال المكوث فيه ، ولكن الذي يبدو أن الأثر الذي يؤثر في المدرسة ولدى تلامذتها هو الضابط بعينه لنسبة الراوي للبلد الذي ينتمي إليه ، فمثلاً نجد أن أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ، ذكر ابن عساكر في تاريخه، أنه قدم دمشق أيام الوليد بن عبد الملك حين استخلف ، وقد روى عنه جماعة من أهل الشام، وأفادة برواية أخرى أنه قدمها ولم تذكر مدة إقامته فيها ، ولكن ذكر أغلب من ترجم له أن إقامته الدائمة حتى توفي كانت في البصرة[١٦].

وربما يكون الراوي منسوب إلى بلد معين ، وتلامذته من بلد آخر، كابن عباس (رضي الله عنه) رحل إلى البصرة، وقد ولاه عليها علي (رضي الله عنه)، فأصبح لديه تلاميذ من البصريين، ولما رجع إلى مكة تخرّج على يديه طبقة كانت من أميز التابعين[١٧] .

الآن أصبح واضحاً جلياً لنا ، بل من الضروري وحسب ما أراه هو أن ينظر إلى **تأثر** الراوي، أو المحدث بالبلد الذي نسب إليه، ما حجمه؟، فإن كان تأثّره أو تأثيره ظاهراً فلا بأس بنسبته إليه ، أو إلى مدرسة ذلك البلد ، ولا مانع من أن ينسب الراوي إلى مدرستين معاً، إن كان تأثره فيهما واضحاً من حيث الشيوخ، والتلاميذ ، والمنهج.

والحمد لله رب العالمين .

---

[١٦] -تاريخ دمشق : ٩/ ٣٣٢ – ٣٣٦ .

[١٧] - الوهم في روايات مختلفي الأمصار: ١٦٦ .

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر: د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلة: الرابعة .

اسم المادة: HadithSchools

اسم المادة: المدارس الحديثية

اسم المحاضرة : Scientific activity in the Hadith School in Kufa

أسم المحاضرة: النشاط العلمي في مدرسة الحديث في الكوفة .

المحاضرة (٥) .

المدرسة الثانية من مدارس الحديث في العراق، مدرسة الكوفة، وهي لا تقل شأناً عن أخواتها من المدارس الفرعية والتي تفرعت من المدرسة الأم وهي مدرسة الحديث العراقية .

هناك عوامل وأسباب ساعدت كثيراً النهوض بالحركة العلمية ، أو النشاط العلمي في الكوفة

ويمكن أن نجملها بالآتي:

١. العناية الكبيرة والاهتمام بالكوفة من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث أنه أمر سعد بن أبي وقاص ﷺ بتمصيرها ، وكان يُعلي من شأن أهلها ويعرف لهم قدرها، وكان يقول : أهل الكوفة وجوه الناس، فأرسل إليهم عبد الله بن مسعود لنشر العلم فيها، وكذلك عمار بن ياسر ﷺ .

٢. ومن أهم الأسباب هو اتخاذ سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ من الكوفة مقراً له إبان خلافته، وزاد هذا مكانة للكوفة ، إذ اصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية، فأصبحت مركز جذب للعلماء، وكذا طلبته، فأعلى من شأنها وانتشر خبرها .

٣. الأمر الآخر كثرة الصحابة الكرام بالتوافد عليها، والاستقرار فيها، جعلها من الحواضر العلمية ، فهي بلا أدنى شك أصبحت مركزاً وقبلة للعلم ، وهناك نذكر أن عدد الوافدين من الصحابة للكوفة قدر بحوالي ألف وخمسمائة ، منهم ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أصحاب بدر، فلنا أن نتخيل كم من طلاب العلم توافد عليها ، وكم من التابعين تلقوا هذا العلم ونقلوه إلى ممن بعدهم . وبهذا يعرف قدر أهمية الكوفة .

٤. كذلك أصحاب ابن مسعود ، نحو علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع وغيرهم، إذ كان الدور الريادي في نشر وبث العلوم في الكوفة والمساهمة في الحراك العلمي ، وكانوا بحق سُرج لأهل الكوفة .

٥. هذه الأمور وغيرها ساعدت وساهمت في نشأة المدارس العلمية ومنها الكوفة .

أما خصائص مدرسة الحديث في الكوفة :

ملامح هذه المدرسة كانت واضحة وظاهرة جلية، وثمة أمور تميز بها السند الكوفي عن غيره، والتي رفعت من شأنه تارة وأعلته أخرى منها :

١. انتشار الوضع ، وخصوصاً في نصرتهم لرأيهم والتنقيص من مخالفيهم، وهذا أسوء ما مرت به مدرسة الحديث في الكوفة، المهم ينبغي إذا كان هناك خلاف بين المدارس أو بين العلماء ينتهي بالتي هي أحسن وذلك عن طريق طرح الأدلة بين الأطراف المتخاصمة ومن ثم الإنصايع إلى الدليل والحجة والبرهان والإذعان للحق مهما كانت النتائج، ولكن هذا ماحدث .

٢. تعد الكوفة من أكثر الأمصار الإسلامية اشتهاراً بالتدليس، والتدليس كما هو معروف لديكم أشبه ما يكون بالتورية وطمس الخلل الذي قد يؤثر في أي شيء، وربما دلسوا في الإسناد من أجل العلو به وإسقاط من كان ضعيفاً في السند، وهكذا وكما هو معلوم عندكم ، وأظنكم مر عليكم التدليس بصوره وإشكاله، والله المستعان .

٣. من طباع أهل الكوفة أنهم يميلون إلى الرأي ولاسيما في اتجاههم الفقهي، حيث أنهم تفردوا عن غيرهم ببعض المسائل الفقهية، والتي لم يشترك معهم فيها أحد ، وهذا عائد إلى الرأي في تحكيمهم لبعض المسائل وكما وضحت .

٤. أهل الكوفة يتميزون عن غيرهم في كثرة الرواية، وهذه الكثرة قد تؤثر سلباً على الرواية إذا لم تخضع لأصول وقواعد علم الرواية ، ولا سيما تمحيص الرواة وسبر أغوارهم للكشف عنهم، ولكن هذه المدرسة وعلى الرغم من كثرة رواياتهم إلا أنها كثيرة الدغل كثيرة العلل، وهذا ما قاله الزهري: " إن في حديث أهل الكوفة دغلاً كثيراً"

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " حديث أهل الكوفة مدخول" ، أي أدخل عليه الكثير من الخطأ والتحريف والتدليس .

لهذا هم يروون عن كل أحد ، فكثر عندهم المنكرات والأسانيد الواهيات في أخبارهم، لهذا قال مسلم: " حدثني محمد بن المثنى، قال: قال لي عبد الرحمن بن مهدي: يا أبا موسى هل أهل الكوفة يحدثون عن كل أحد؟ " وكأن هذا هو السؤال على ما أجبنا عليه آنفاً، فالتفتيش عن الشيوخ والرواة والوقوف على حالهم هو الذي ميز أهل الحديث عن غيرهم، بل كل العلوم الأخرى أتخذت منهج أهل الحديث في التثبت عما يروون .

٥. اشتهرت الكوفة بالفقه، فإذا ذكر الفقه، ذكرت الكوفة، لهذا نجد أن أساطين أهل الحديث في الكوفة على علم في الفقه وأكثرهم دراية به ، ولا ريب أن الفقه إذا انضم إلى الحفظ أي الحديث فهو مزية للتقديم عن غيرهم، قال وكيع لأصحابه: " أيما أحب إليكم حديث الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود، أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود؟، فقالوا : الأول، فقال: الأعمش، عن أبي وائل: شيخ عن شيخ، وسفيان عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة عن ابن مسعود: فقيه عن فقيه، وحديث يتداوله الفقهاء خير مما يتداوله الشيوخ "

٦. للكوفة تأثير واضح في الخراسانيين، لأن أهل الكوفة هم الذين فتحوا هذه البلاد، فعلموهم القرآن ، والحديث ثم انتقل علمهم هذا إلى تلك البلد فتأثر منهج خرسان بمنهج أهل الكوفة، فقلما تجد إسناداً خراسانياً إلا وأصله كوفي

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري الهيتي

المرحلـــة : الرابعة

Article: Modern schools

مادة: المدارس الحديثية

The title of the lecture: Orbits of speech in every school

عنوان المحاضرة : مدارات الحديث في كل مدرسة

المحاضرة (٦)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

من الأمور المهمة التي يجب الأخذ بها والتركيز عليها ، التركيز على مدارات الحديث في كل مدرسة، ومعرفة أصحاب صاحب المدار، وعلاقة رواة المدرسة بهذه المدارات .

مما لاشك فيه أن للمدارات أثراً على تطور علم الحديث في المدرسة، وأن لها دوراً رئيساً من حيث تكونها ونشأتها، ونشأة قوانين الرواية فيها .

أشار الناقد الإمام علي بن المديني إلى أهمية معرفة من دارت عليهم الرواية، فذكر أن الإسناد يدور على ستة: فلأهل المدينة (ابن شهاب) ، ولأهل مكة (عمرو بن دينار)، ولأهل البصرة

(قتادة بن دعامة السدوسي، ويحيى بن أبي كثير) ، ولأهل الكوفة (أبو إسحق السبيعي، وسليمان بن مهران العمش) ، ثم ذكر أن علم هؤلاء صار إلى أصحاب الأصناف ممن صنف ، فلأهل المدينة : (مالك بن أنس ، ومحمد بن أسحق)، ومن أهل مكة: (عبد العزيز بن جرير، وسفيان بن عيينة، ومن أهل البصرة : (سعيد بن أبي عروبة، وحماد بن سلمة)..... وغيره، ثم بعد ذلك بين أن علم هؤلاء آل إلى آخرين فذكرهم [١٨].

[١٨] - العلل لابن المديني: ١٧- ٤٠ .

لاحظ الخطيب البغدادي هذا الأمر، فذكر في جامعه باباً اسماه: " معرفة الشيوخ الذين تدور الأسانيد عليهم "[١٩].

هذه المصادر التي أشير لها ضروري جدا من مراجعتها ، لأن فيها تفاصيل ومعلومات مهمة جداً تهم طالب العلم لاسيما طلاب الحديث .

ذكر بعض أقوال المحدثين، وذكر كذلك مدرسة المدينة، والذي دار الحديث فيها على عدد من الصحابة الكرام قبل العلماء، الذين عدّهم ابن المديني، منهم : أبو هريرة، وابن عمر، وأم المؤمنين عائشة، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري ، وكذا بقية المدارس .

كما ووجد في البصرة : شعبة من الحجاج (١٦٠)هـ ، ويحيى بن سعيد القطان (١٩٨) هـ، وعبد الرحمن بن مهدي(١٩٨)هـ، وحماد بن زيد(١٩٧)هـ، حيث دار الحديث عليهم، وكان لهم دوراً بارزاً في نشأته .

ومن الأمثلة التي توضح ذلك ، ما نقله أبو داود عن الإمام أحمد بن حنبل: " ليس لحديث أهل الكوفة نور، ما رأيت مثل أهل البصرة؛ كانوا تعلموه من شعبة [٢٠].

هذا الكلام لا يعني أن مدرسة الكوفة ليست بشيء ، بل بالعكس لها منهجها وآراءها ، وشيوخها ومنهجها، فقد ظهر فيها سفيان الثوري (١٦١) هـ ، ووكيع بن الجراح (١٩٦) هـ ،وسنقف عند مدرسة الكوفة في حينها إن شاء الله تعالى .

ولكن نستطيع أن نؤخذ من كلام الإمام أحمد مدى تأثر البصرة من الأثر الذي تركه الإمام شعبة رحمه الله ومنهجه فيها .

تتسم المدارس الحديثية باتفاقها على أكثر أصول هذا العلم ، وقد نبهت على هذا سلفاً، مع أن عدداً لا بأس به منها اجتهادية، وهذه بصراحة ظاهرة تستدعي الاهتمام والوقوف على أسبابها

إلا وهي **ظاهرة الرحلة عند المحدثين** ، والتلقي عن المشايخ بالدرجة الأولى، فالصحابة قد تفرقوا في الأمصار ، فكان لابد من السفر والترحال إليهم ، كما وتلقف التابعون علمهم، ثم قام التابعون بالترحال في الأمصار المختلفة، فأخذ المصري عن الشامي، واليمني عن المكي، والعراقي عن المدني، وهكذا تشعبت الأسانيد ، وأنتم ترون هذه التشكيلة الغريبة في الإسناد ، وهذا بسبب ما قلته لكم آنفاً، وكان ضمن ما تناقلوه فيما بينهم **قواعد الرواية** ، وضوابط تحمل الحديث وحفظه ، وما أن جاء القرن ثالث تقريباً اكتملت المنهجية وجاء التأليف والتصنيف وتثبيت تلك القواعد والأصول واكتملت جميع الحلقات فيما يتعلق بذلك وسار الأمر إلى أن وصل إلينا كابر عن كابر .

فأصبح لزاماً علينا بل من الضروري بيان المناهج التي امتازت بها المدرسة في مختلف المجالات: كالرواية، والنقد، والتصنيف .

---

[١٩] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع :٢/٢٩٣ .
[٢٠] - سنن أبي داود : ٢/ ٧٥١، برقم (٥١١٣) .

ومن أمثلة ذلك : قوة أسانيد الحجازيين، بالنسبة إلى غيرهم، وكثرة المدلسين في الكوفة، قال الخطيب البغدادي: " أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين: مكة والمدينة، فإن التدليس فيهم قليل، والاشتهار بالكذب، ووضع الحديث عندهم عزيز[٢١] .

وقال الحاكم : " أهل الحجاز ، والحرمين، ومصر، والعوالي، والعوالي هنا مقصود فيها ما بعد الصحراء الغربية كبلاد المغرب وغيرها، ليس التدليس من مذهبهم، وكذلك أهل خرسان ، وبلاد فارس، واصبهان، وخوزستان، وما وراء النهر، لا يعلم أحد من أئمتهم دلس، وأكثر المحدثين تدليساً أهل الكوفة، ونفر يسير من أهل البصرة "[٢٢].

إذن علينا أن ندرس كتب التراث من مصنفات في تواريخ البلدان، كتاريخ بغداد، ودمشق، ونيسابور.. الخ وجمع ما تفرق من معلومات فيها وضمها لبعض، لتعطي صورة كاملة عن المدارس الحديثية .

ونذكر هنا رواة الحديث في أفريقية حيث امتازوا بالانشغال بالتصوف والانصراف إلى الزهد والعبادة ، وهذا ما يلحظ جلياً في تراجمهم [٢٣] .

بعد أن قاربنا عن الانتهاء من هذه التعريفات والوقفات ، والمطالب المهمة ، أصبح لزاماً علينا الولوج إلى موضوعات المدارس حيث سنقوم بدراستها تفصيلياً لإظهار أهم ما خصائصها وما تمتاز به ، والحمد لله رب العالمين .

انتهى

المحاضرة (٧)

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلة الرابعـــــــــة

مادة المدارس الحديثية Article modern schools

محاضرة بعنوان مدرسة الحديث في البصرة

[٢١] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السمع : ٢٨٦/٢ .
[٢٢] - معرفة علوم الحديث للحاكم : ١٦٤ .
[٢٣] - الوهم لعبد الكريم وريكات : ٤٧٠ .

A lecture entitled The Modern School in Basra

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، وبعد ..

بعد هذا السرد والشرح المبسط، أصبحت لدينا معلومات لا بأس بها من أجل المراد والمقصود بمفهوم (المدرسة) ، ولاسيما أركانها والهدف منها ، ونشأتها ودور الأصحاب فيها.

سنقوم اليوم بعرض تفصيلي للمدارس الحديثية التي تشكلت في الأمصار الإسلامية، وسنشرع الآن بمدرسة الحديث في البصرة ، وقبل البدء بها نأخذ لمحة بسيطة عن مدينة البصرة وأبرز معاملها، وتمصيرها، حتى نتعرف على أهميتها من موقعها الجغرافي المهم الذي شكل عامل جذب للتجارة حيث أصبحت مركزاً مهماً ، وبالتالي أصبحت مركز جذب كذلك لطلبة العلم، لا سيما إذا عرفنا من هم الشيوخ الذي قنطوا البصرة .

البصرة؛ من مدن العراق الكبرى، وتقع في جنوبه وكما هو معلوم ، وهي تعني الأرض الصلبة المائلة للسواد، قال ابن الأنباري: " البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب[٢٤] .

ومصرت البصرة سنة ١٤هـ ، بأمر من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بعدما فرغ المسلمون من فتوحهم للمدائن وغيرها من مدن العراق، وكانت فكرة تمصيرها الخليفة عمر رضي الله عنه، حتى يسيطر على العراق من جهة جنوبه، وكذا الوسط، ويجعلها قاعدة عسكرية تنطلق منها القوات الإسلامية للفتوحات .

ومن أراد أن يطلع أكثر يراجع بهذا الخصوص معجم البلدان للحمومي: ١/ ٤٣٠ .

فلما تم له فتح البصرة استأذن عتبة بن غزوان والذي كان على رأس الجيش، أن يبني الثكنات العسكرية للقوات المحاربة ، فأجابه الخليفة على ذلك وأن يختار مكان متوسط قريب منه لا تفصله حواجز، وأن تكون الظروف مما يلائم وطبيعة المقاتلين العرب .

ونتيجة لذلك استقر المسلمون الفاتحون فيها، ثم سرعان ما تحولت إليها القبائل من الجزيرة العربية، لوفرة خيراتها وأهميتها من الجانب التجاري لموقعها العجيب على الخليج العربي، حتى أصبحت القوافل التجارية القادمة من الهند والصين تمر عن طريقها إلى بلاد فارس، واستغل المسلمون هذا .

بعد أن تحدثنا عن تمصير البصرة وأهميتها ، ننظر الآن إلى بعض آراء المدرسة البصرية في علوم الحديث ، وهي بالنسبة لقواعد الحديث وعلومه يعتد بها بل هي الأصل عند أهل الحديث ، عموما سننظر وإياكم ذلك وإن كان هناك ما يخالف سنبين الصحيح ونرد الخطأ

أولاً : منهج البصريين في بيان حال الراوي

[٢٤] - معجم البلدان: ٤٣٠/١.

نقول وبه نستعين ، يرى كثير من علماء هذا الشأن، من أهل البصرة وغيرهم، وجوب بيان المحدث لحال الراوي الذي يروى عنه ، إذا علم حاله، خاصة إذا كان ضعيفاً، أو كذاباً، وذلك حتى لا يكتب عنه أحد معتقداً ثقته، أو أنه من أهل هذا الشأن .

وهذا عند أهل الحديث عموماً أصل من أصول حفظ الرواية .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن يحيى بن سعيد القطان قال : " سألت شعبة وسفيان ومالك بن أنس، وابن عيينة، عن الرجل يتهم في الحديث، أو لا يحفظه؟ قالوا: بيّن أمره للناس" [٢٥].

وهذا كان منهج علماء أهل البصرة، منذ نشره في زمن قتادة المتوفى سنة(١١٧)هـ .

فقد روي عن عاصم الأحول أنه قال: " كان قتادة يقصر بعمرو بن عبيد، فجثوت على ركبتي فقلت : يا أبا الخطاب هذه الفقهاء ينال بعضها من بعض؟ فقال: يا أحول، رجل ابتدع بدعة فَيُذكر، خير من أن يكف عنه"[٢٦].

ومن قال قتادة: " لا يحمل هذا الحديث عن صالح عن طالح، ولا عن طالح عن صالح، حتى يكون صالح عن صالح "[٢٧].

وما دمنا نتحدث عن الصالح والطالح ، لنسمع ما قاله ابن سيرين رحمه الله : " إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذونه " [٢٨].

لهذا نرى أنه من الواجب تبيان حال الراوي لمعرفة إن كان هذا الراوي يؤخذ عنه أو يرد .

لأن المسألة تتعلق بالدين ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم دين ، فالاحتراز واجب، لهذا نشأة علم الرجال ، وانبثق منه علم جديد وهو علم الجرح والتعديل ، وغيرها من العلوم التي تختص برواة الحديث ونقلته .

وكان الإمام شعبة رحمه الله يرى أنه من الواجب على المحدث أن يبذل كل ما في وسعه في منع انتشار رواية من اتهم في حديثه، روى الإمام مسلم، عن أبي داود الطيالسي قال : قال لي شعبة: ائت جرير بن حازم، فقل له لا يحل لك أن تروي عن الحسن بن عمارة، فإنه يكذب [٢٩] .

وقال الشافعي رحمه الله : " لولا شعبة ما عُرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استدعيت عليك السلطان " [٣٠].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: مررت مع شعبة برجل يعني يحدث، فقال: كذب والله، لولا أنه لا يحل لي أن أسكت عنه لسكت .

---

[٢٥] - ينظر في ذلك الكفاية في علوم الرواية للخطيب: ٨٨ .
[٢٦] - المصدر نفسه:٩٠ .
[٢٧] المصدر نفسه: ٥٦
[٢٨] - المصدر السابق : ١٩٦ .
[٢٩] - مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي: ١١١/١، والمحدث الفاصل: ٣٢٠ .
[٣٠] - مقدمة الجرح والتعديل: ١/ ١٢٧ .

الكثير من النصوص تتحدث عن موقف الإمام شعبة رحمه الله عن تبيان حال الراوي .

وهنا لي سؤال : هل كان مع الإمام شعبة حق في هذا التشدد، حول مسألة تبيان حال الراوي؟

بل كان (رحمه الله) يسمي السكوت عن مثل هذا جنوناً، فقد روي أنه قال: ألا تتعجبون من الجنون ؟ .

وقيل له : يا أبا بسطام: كيف تركت علم الرجال، وفضحتهم فلو كففت، فقال: أجلوني حتى أنظر الليلة فيما بيني وبين خالقي هل يسعني ذلك؟ فلما كان من الغد خرج على الناس فقال: قد نظرت فيما بيني وبين خالقي، فلا يسعني دون أن أبين أمورهم للناس، والسلام .

كما ورى الخطيب بسنده، أن أبا بكر بن خلاد قال: " قلت ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصمائك عند الله ؟ قال : لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب ألي من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: لم حدثت عني حديثاً ترى أنه كذب ".[٣١]

هكذا كان علماء أهل البصرة يرون وجوب بيان حال الراوي وتنبيه من يروي عن المتروكين إلى وجوب الكف عن ذلك ، وسار على هذا المنهج معظم علماء هذا الشأن في البصرة وفي غيرها واتخذوا أقوالهم أساساً في جرح وتعديل كثير من الرواة .

ولو أنَّا تفحصنا كتب الجرح والتعديل والعلل وغيرها لوجدناها حبلى بآراء كثير من علماء البصرة .

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر: د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلة: الرابعة .

اسم المادة: المدارس الحديثية

اسم المادة: رواية الحديث بالمعنى

- **الرواية بالمعنى .**

---

[٣١] - الكفاية: ٩٠ .

وهي أن يروي الراوي الحديث قاطعاً بفهم المعنى، ويعبر عما فهم بعبارة يقطع بأنها تدل على ذلك المعنى الذي فهمه من غير أن تكون الالفاظ مترادفة .

وقبل بحث الخلاف في هذه المسألة وذكر رأي البصريين في ذلك، لابد من إخراج بعض الصور والحالات التي لا تدخل في إطار الخلاف .

أحدهما: أن يبدل اللفظ بمرادفه كالجلوس بالقعود، وهذه الصورة جائزة بلا خلاف.

ثانيها: أن يظن دلالته على مثل ما دل عليه اللفظ الأول، من غير أن يقطع بذلك ، فهذا لا خلاف في عدم جواز التبديل فيه .

ثالثها: أن يقطع بفهم المعنى، ويعبر عما فهم بعبارة يقطع بأنها تدل على ذلك المعنى الذي فهمه، من غير أن تكون الألفاظ مترادفة، فهذا هو موضع

الخلاف [٣٢]، وهناك أيضاً حالتان لا يجوز فيهما للراوي أن يروي الحديث بالمعنى بالاتفاق وهما :

الأولى : إذا كان الراوي متيقناً من اللفظ الذي قاله الرسول ﷺ فلا يجوز العدول عنه إلى غيره، فلفظ الرسول ﷺ أدق وأولى بالاتباع .

الثانية: لا يجوز للجاهل رواية الحديث بالمعنى، بدليل أنه لا يؤمن عليه إبدال اللفظ بخلافه، مما يغير المعنى هذا بالاتفاق [٣٣].

وقد ذهب العلماء في حكم هذه المسألة إلى مذهبين :

المذهب الأول :

---

[٣٢] - توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري : ٣٠٦ .
[٣٣] - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي : ٢٨٥ .

ذهب البعض إلى منع الرواية بالمعنى ..

وهذا هو مذهب الإمام محمد بن سيرين من أهل البصرة، والقاسم بن محمد من أهل الحجاز، ورجاء بن حيوة من علماء الشام .

روى الرامهرمزي بسنده عن عبد الله بن عوف أنه قال: " لقيت منهم من كان يحب أن يحدث بالحديث كما سمع، ومنهم من لا يبالي إذا أصاب المعنى، قال: ومن الذين يحبون أن يحدثوا كما سمعوا: محمد بن سيرين، ورجاء بن حيوة، والقاسم بن محمد" [٣٤].

وقد اشتهر هذا المذهب عن محمد بن سيرن البصري، وكان يلتزم به في حديثه، بل إنه قد بالغ في ذلك، حتى إنه كان يلحن في الرواية كما يلحن من روى عنه [٣٥].

المذهب الثاني :

ذهب أكثر العلماء إلى إجازة الرواية بالمعنى، وممن اشتهر بذلك الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والشعبي .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن عبد الله بن عون أنه قال: وكان أصحاب الحروف القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوة، ومحمد بن سيرين، وكان أصحاب المعاني الحسن البصري والشعبي والنخعي [٣٦].

---

[٣٤] - المحدث الفاصل : ٥٣٤ ــ ٥٣٥ .
[٣٥] - الكفاية : ٢٨٥ .
[٣٦] - الكفاية : ٢٨٤ .

وروي عن جرير بن حازم أنه قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يسمع الحديث فيحدث به ولا يألو، فيكون فيه الزيادة والنقصان قال: ومن يطيق ذلك [٣٧].

وقد سار أكثر علماء البصرة على مذهب الإمام الحسن البصري، ومما يدلنا على ذلك قبول روايتهم الحديث عنه بعدة الفاظ، وكذلك ما ورد عن بعض علمائهم من محاولاتهم الاستدلال على صحة ما ذهبوا إليه .

فقد روي عن هشام بن حسان وجرير بن حازم البصري أنهم قالا: كان الحسن البصري يحدثنا اليوم بحديث ويعيده من الغد فيزيد فيه وينقص منه غير أن المعنى واحد [٣٨].

وهذا يحيى بن سعيد القطان يدلل على صحة الرواية بالمعنى فيقول: القرآن أعظم من الحديث، ورخص أن تقرأه على سبعة أحرف [٣٩].

واحتج أيضاً حماد بن سلمة البصري على صحة هذا المذهب، فقال : إن الله أخبر عن موسى عليه السلام وعدوه فرعون بألفاظ مختلفة في معنى واحد مع قدرته سبحانه على سياق اللفظ الذي نطق به موسى [٤٠].

وقد أطال الباحثون قديماً وحديثاً في ذكر أدلة المانعين والمجزين، وفيما يأتي أدلة كل فريق بشكل مختصر .

أدلة المانعين :

١. حصول الاتفاق على أن الشرع قد ورد بأشياء كثيرة قصد فيها الإتيان باللفظ والمعنى جميعاً نحو التكبير والتشهد والأذان والشهادة، وإذا كان كذلك لم ينكر أن يكون المطلوب بالحديث لفظ بعينه ومعناه جميعاً .

---

[٣٧] - الطبقات الكبرى لابن سعد : ٧/ ١٥٨ .
[٣٨] - المحدث الفاصل: ٥٣٣ ، والطبقات الكبرى : ٧/ ١٥٩ .
[٣٩] - فتح المغيث : ٢/٢١٦ .
[٤٠] - سيأتي بعد قليل تفصيل هذا القول .

وقد ناقش الخطيب البغدادي هذا الدليل فقال: وبأي وجه وجب إلحاق رواية حديث رسول الله ﷺ بلفظه بالأذان والتشهد وغير ذلك مما مجراهما ؟ .. فلا يجدون متعلقاً في ذلك [٤١].

٢. قوله عليه الصلاة والسلام: ((نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأدها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه))[٤٢].

وأداء الحديث كما سمع هو أداء اللفظ المسموع، ونقل الفقه إلى من أفقه منه معناه أن الأفقه قد يتفطن بفضل معرفته من فوائد اللفظ لما لا يتفطن إليه غير الفقيه الذي رواه [٤٣].

وقد أجاب العلماء على هذا الدليل بوجوه :

أ- أن من أدى المعنى بتمامه، يوصف بأنه أدى كما سمع، وإن اختلفت الالفاظ، ولهذا يوصف الشاهد والمترجم بأداء ما سمعا وإن عبّرا بلفظ مرادف .

ب- هذا الحديث حجة عليكم لأنه ﷺ ذكر العلة، وهي اختلاف الناس في الفقه، فقد قال عليه والصلاة والسلام: (فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه وإلى من هو أفقه منه) [٤٤]. فكأنه قال: إذا كان المبلغ أوعى من السامع وأفقه، وكان السامع غير فقيه، ولا ممن يعرف المعنى، وجب عليه تأدية اللفظ، ليستنبط معناه العَالِم الفقيه، وإلا فلا وجه لهذا التعليل إن كان حال المُبلِغ والمُبَلغ سواء [٤٥].

---

[٤١] - الكفاية : ٣٠٤ .

[٤٢] - أخرجه الترمذي : ٥/ ٣٣ ، برقم (٢٦٥٦) ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وقال: هو حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه :٨٤/١، برقم (٢٣٠) ، باب: من بلغ عنا .

[٤٣] - الكفاية : ٣٠٥ .

[٤٤] - أنظر توجيه النظر ، للشيخ طاهر الجزائري : ٣٠٥ .

[٤٥] - المصدر نفسه : ٣٠٥ .

ت- إن رواة هذا الخبر نفسه، قد رووه على المعنى، فقال بعضهم: (رحم الله) مكان (نضر الله)، و(من سمع) بدل (امرءاً سمع) ، و (روى مقالتي) بدل (منا حديثاً) و (بلغه) مكان (أداه) .... وألفاظ أخرى سوى هذه متغايرة تضمنها هذا الخبر [٤٦].

فلو لم تكن الرواية بالمعنى جائزة لتحرى الرواة اللفظ الذي قاله رسول الله ﷺ نفسه في هذا الخبر على الأقل، وهو الوارد في النهي عن الرواية بالمعنى، على ما زعموا، ولكن هذا لم يقع منهم دليلاً على جواز ذلك ."

٣. استدلوا أيضاً بقول رسول الله ﷺ للذي علمه إذا أخذه مضجعه أن يقول: (... آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فقال الرجل[٤٧]وهو يرددها ليحفظها : وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبي ﷺ وبنبيك الذي أرسلت) [٤٨].

فقالوا: لم يسوغ رسول الله ﷺ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ الذي لقنه إياه .

ويرد عليهم بأن وصف النبي أمدح من الرسول، ولكل واحد من هذين النعتين موضع، فإن اسم الرسول يقع على الكافة وهو أعم، واسم النبي أخص ولا يتناول إلا الأنبياء خاصة. وإنما فضل المرسلون على الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة معاً، فلما قال: وبنبيك الذي أرسلت، جاء بأمدح النعت وهو النبوة، ثم قيده بالرسالة حين قال: الذي أرسلت [٤٩].

٤. قالوا لا تجوز الرواية بالمعنى، لما فيه من خوف الدخول في الوعيد، حيث عزى للنبي ﷺ لفظاً لم يقله لكون ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام واختصاراً، وغيره لو كان في الفصاحة والبلاغة بأقصى غاية ليس مثله .

---

[٤٦] - الكفاية :٣٠٥ .
[٤٧] - هو الصحابي الجليل البراء بن عازب ﷺ .
[٤٨] - أخرجه البخاري: ٧١/١، كتاب الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء .
[٤٩] - ينظر الكفاية : ٣٠٦ .

بل قد يُظن توفيه اللفظ بمعنى اللفظ الآخر ولا يكون كذلك في نفس الأمر كما عهد في كثير من الأحاديث [٥٠].

٥. التجربة دلت على أن المتأخر يستخرج من فوائد ألفاظ النبي ﷺ ما لم يسبقه المتقدم إليه، فعرفنا أن السامع لا يجب أن ينتبه لفوائد اللفظ في الحال، وإن كان فقيهاً ذكياً، فجاز أن يتوهم في اللفظ المبدل أنه مساو للآخر وبينهما تفاوت لم يتفطن له [٥١].

لو جاز للراوي تبديل لفظ الرسول ﷺ بلفظ من عنده لجاز للراوي عن الراوي تبديل لفظ الأصل بل هو أولى، فإن تبديل لفظ الراوي أولى من تبديل لفظ الشارع، ولو جاز ذلك لجاز للراوي الثالث عن الثاني، وعن الراوي الرابع عن الثالث، وكذا ..... وذلك يستلزم سقوط الكلام الأول بالكلية، فإن المُعبر إذا ترجم وبالغ في المطابقة، تعذر عليه الإتيان بلفظ ليس بينه وبين اللفظ الأول تفاوت بالكلية، فتنتفي المناسبة بين كلام النبي ﷺ ، وكلام الراوي الأخير [٥٢].

أدلة المجزين :

استدل المجزيون للرواية بالمعنى بما يلي:

١. ما رواه الخطيب بسنده : ((أن رسول الله ﷺ سئل فقيل له إنَّا لنسمع الحديث فلا نقدر على تأديته كما سمعناه، قال: إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً، فلا بأس))[٥٣].

---

٥٠ - ينظر فتح المغيث : ٢١٤/٢ .
٥١ - انظر توجيه النظر : ٢٠٤ .
٥٢ - المصدر نفسه .
٥٣ - الكفاية للخطيب : ٣٠٢ ، هذا الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير وسنده ضعيف ، وضعفه واه جداً، وفيه علل كثيرة، ومن رواته من هو متروك الحديث ، ومنهم لم نقف على ترجمة له ولم يعرفه أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كأبي حاتم والدار قطني وغيرهم ، قال الهيثمي : ولم أر من ذكر يعقوب ولا أباه ، ينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١٥٤/١ .

وقد ردَّ الشيخ طاهر الجزائري هذا الاستدلال فقال: وفيه نظر إذا المراد نفي البأس في العمل بمقتضى ما دل عليه الحديث لا النقل عنه [٥٤].

٢. اتفاق الأمة على أن للعالم بمعنى خبر النبي ﷺ وللسامع بقوله، أن ينقل معنى خبره بغير لفظه، وغير اللغة العربية وأن الواجب على رسله وسفرائه إلى أهل اللغات المختلفة من العجم وغيرهم أن يرووا عنه ما سمعوه وحملوه مما أخبرهم به وتعبدهم بفعله على ألسنة رسله، سيما إذا كان السفير يعرف اللغتين، فإنه لا يجوز أن يَكِلَ ما يرويه إلى الترجمان، وهو يعرف الخطاب بذلك اللسان، لأنه لا يأمن من الوقوع في الغلط، فيجب أن يرويه بنفسه .

وردَّ الشيخ طاهر الجزائري هذا الدليل أيضاً فقال: وفيه نظر فإن السامع للترجمة يعلم أن المسموع ليس كلام النبي ﷺ بل معناه [٥٥] .

ولعل من أقوى حجج المجيزين وكما نقل السيوطي عن بعض العلماء أنه قال: ومن أقوى حججهم الاجماع على جواز شرح الشريعة للعجم بلسانها للعارف به، فغذا جاز الابدال لغة أخرى، فجوازه باللغة العربية أولى [٥٦].

٣. واحتج حماد بن سلمة البصري، بأن الله تعالى أخبر عن موسى عليه السلام، وعدوه فرعون بألفاظ مختلفة في معنى واحد، كقوله (بشهاب من قبس)[٥٧]، و (بقبس)[٥٨] ، و(جذوة من النار)[٥٩]، وكذلك قصص

---

[٥٤] - توجيه النظر : ٣٠٤ .
[٥٥] - توجيه النظر : ٣٠٤ .
[٥٦] - تدريب الراوي لليسوطي: ١٠٢/٢ .
[٥٧] - سورة النحل: الآية ٧ .
[٥٨] - سورة طه : الآية ١٠ .
[٥٩] سورة القصص : الآية ٢٩ .

سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن وقولهم لقومهم بألسنتهم المختلفة، وإنما نقل إلينا ذلك بالمعنى[٦٠].

واستدل الشافعي على جواز ذلك بحديث: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه))[٦١].

قال: وإذا كان الله برأفته بخلقه أنزل كتابه على سبعة أحرف علمنا منه بأن الكتاب قد نزل لِتحلَّ لهم قراءته، وإن اختلف لفظهم فيه، ما لم يكن اختلافهم إحالة معنى، كان سوى كتاب الله سبحانه أولى أن يجوز فيه اختلاف اللفظ ، ما لم يحل معناه [٦٢].

كان عبد الله بن مسعود ﷺ إذا حدث قال : قال رسول الله ﷺ كذا ، ثم يقول: كذا أو نحوه .

ورد على هذا بأن الفرق واقع بين ما إذا أطلق، أو قال كذا أو نحوه ، فإن فيه تصريحاً بنقل المعنى، وأن اللفظ منه [٦٣].

إننا نعلم قطعاً أنَ الصحابة الكرام لم يكتبوا ما نقلوه، ولا كرروا عليه، بل كانوا إذا سمعوا شيئاً تركوه إلى وقت الحاجة في مدد متباعدة، وذلك يوجب القطع بأنهم لم ينقلوا نفس اللفظ بالمعنى .

وقد صرح أحد الصحابة بذلك، فقد روي عن مكحول وابي الأزهر قالا: دخلنا على واثلة بن الأسقعﷺ فقلنا له: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تزيد، ولا نسيان، فقال: هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً؟ فقلنا: نعم، وما نحن له بحافظين جداً، وإنا لنزيد الواو والألف وننقص، قال: فهذا

---

٦٠ - انظر فتح المغيث للسخاوي : ٢١٧/٢ .
٦١ - صحيح البخاري: ٢٢٧/٦ ، كتاب فضائل القرآن ، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف .
٦٢ - تدريب الراوي : ٩٩/٢ .
٦٣ - توجيه النظر للجزائري : ٣٠٤ .

القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظاً، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون منه، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ ، عسى أن لا نكون سمعناها إلا مرة واحدة، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى[٦٤].

ويمكن أن يجاب عن هذا الاستدلال، بأنه ثبت أن بعض الصحابة الكرام كان يكتب الحديث، ثم من أين لكم أنهم لم يكرروا عليه؟ فقد كانوا دائماً يتذاكرون الأحاديث فيما بينهم .

روى القاضي عياض بسنده عن أنس بن مالك قال: " كنا نقعد مع النبيﷺ فعسى أن نكون ستين رجلاً، فيحدثنا الحديث، ثم يريد الحاجة، فنتراجعه بيننا، فنقوم كأنما زرع في قلوبنا " [٦٥].

ثم قال المجيزون: إن اللفظ غير مقصود لذاته، وإنما القصد المعنى، واللفظ أداة لتوصيل هذا المعنى إلى السامع، فلا فرق لإثبات ذلك المعنى بأي لفظ اتفق[٦٦].

ويمكن الرد على هذا القول ، بأن صاحب الكلام ابتداءً يدرك مقصوده من اللفظ قطعاً، فإذا عدل عنه إلى لفظ آخر فإنه لابد أن يكون اللفظ الآخر مطابقاً لمعنى اللفظ الأول، بخلاف ما إذا عدل عن غير المتكلم عن اللفظ إلى المعنى، لاحتما أن لا يشتمل اللفظ الآخر مقصود المتكلم .

إذا ثبت هذا أقول: أنه إذا حدث رسول الله ﷺ حديثاً بعدة ألفاظ، فإن ذلك يختلف عما لو روى الراوي الحديث بلفظ مخالف للأصل .

- **<u>تلخيص المسألة</u>** :

---

٦٤ - أنظر جامع بيان العلم وفضله: ١٠٣ ، والكفاية :٣٠٨ .
٦٥ - الالماع للقاضي عياض :١٤٢ .
٦٦ - توجيه النظر : ٣٠٤ .

يبدو أن أدلة المانعين للرواية بالمعنى أقوى من أدلة المجيزين، وذلك أن بعض الحجج التي أوردها تجعلنا نفضل إن لم نقل بوجوب الرواية باللفظ .

ذلك أن الرواية بالمعنى تجعل فهم الفقيه المتأخر محصوراً ضمن فهم الراوي للنص، إذ أن دلالة الألفاظ ستكون ظنية، فقد يفهم الراوي شيئاً، ويفهم الفقيه الآخر من نفس اللفظ شيئاً آخر .

فإن روى له الحديث بالمعنى، فقد حجب عمه النظر في ذلك اللفظ، وبالتالي حجب عنه إمكانية إعطاء حكم آخر، وضيق عليه دائرة النظر والاستدلال، وحصره في دائرة فهمه للنص.

ولنضرب هنا مثالاً لتوضيح ذلك :

وهو ما حدث مع إسماعيل بن عُلية البصري، حين أنكر على شيخه شعبة بن الحجاج مع جلالته واتقانه روايته عنه بالمعنى حديث (نهى رسول الله ﷺ أن يتزعفر الرجل)[٦٧].

هذا الحديث رواه شعبة بلفظ : (نهى عن التزعفر)، والنهي هنا دال على العموم، فلم يفطن شعبة كما فطن له إسماعيل، حيث أن النص خاص بنهي الرجال عن التزعفر [٦٨].

وشتان بين أن يكون الحكم عاماً وبين أيكون مقصوراً على الرجال، فإن في العموم تحريم الحلال، وهو تحريم التزعفر على المرأة.

---

[٦٧] - أخرجه البخاري : ١٩٧/٧ ، كتاب اللباس ، باب: التزعفر للرجال .
[٦٨] -ينظر فتح المغيث للسخاوي: ٢١٢/٢ .

ونعطي مثالاً آخر حتى تتضح الصورة أكثر: في حديث الوصية بالنساء ففيه روايتان: الأولى: (فإنَّهنَّ خُلِقنَ من ضلع ...) ، والثانية: (فإنَّهنَّ كالضلع) [٦٩].

في الرواية الأولى فيه بيان أصل خلقة المرأة، وأن خلقها من ضلع آدم عليه السلام حقيقة .

وأما الرواية الثانية ففيها تشبيه عوج المرأة بعوج الضلع .

ولكن إذا تيقن الراوي بأنه نسي اللفظ الذي حدث به رسول الله ﷺ ، وبقي في نفسه المعنى الذي وقع له عند سماع ذلك اللفظ، فهل يجوز له رواية الحديث عندئذ ، أم يجب عليه أن يكف عن روايته؟ .

لا شك أن المجيزين للرواية بالمعنى لا يترددون في جواز ذلك، أما المانعون فينبغي أن يجيزوا ذلك أيضاً بشرط أن يبين الراوي ذلك ويصرح بأنَّ هو معنى قول رسول الله ﷺ .

وهذا حقيقة ما كان يجري مع ابن عباس ﷺ فقد كان عندما يروي الحديث يقول: كذا أو نحوه.

روى ابن ماجه وأحمد والحاكم عن عبد الله بن مسعود، أنه قال يوماً، قال رسول الله ﷺ فاغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه ثم قال: أو مثله أو نحوه ، أو شبيهاً به [٧٠].

وروى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي الدرادءﷺ ، أنه كان إذا حدث بالحديث عن رسول الله ﷺ ، ثم فرغ منه قال: اللهم لا ، هكذا أو شبهه [٧١].

---

[٦٩] - أخرجهما البخاري: ٧/ ٣٣، كتاب النكاح، باب: إنما المرأة كالضلع .

[٧٠] - ينظر الكفاية: ٣١٠ ، وتدريب الراوي : ٢/ ١٠٢ .

[٧١] - الكفاية : ٣١٠ .

وروى أيضاً بسنده عن أنس بن مالك ﷺ ، أنه كان إذا حدث حديثاً عن رسول الله ﷺ قال: أو كما قال رسول الله ﷺ [٧٢].

وأخيرا يمكن القول بأن رواية الحديث بالمعنى أنما جازت من باب الرخصة ، حيث لم يتمكن الرواة من صحابة وغيرهم، الحصول على اللفظ الذي قاله الرسولﷺ ، فالعدول عنه حينئذ إلى المعنى الذي فهمه الراوي بشرط أن يكون عالماً بالألفاظ أولى من كتمان هذا الحديث الذي قد يتوقف عليه معرفة حكم شرعي .

فإذا لم يكن في المسالة نص غير معنى قول الرسول ﷺ فإن الاستدلال بمعنى قوله، أولى من الاستدلال بغيره ، والله تعالى أعلم .

وبقي أن تعلموا، إن هذا الخلاف أنما يجري في غير الكتب المصنفة، إذ لا يجوز تغيير شيء في كتاب مصنف، وإبداله بلفظ آخر حتى وإن كان بمعناه قطعاً .

لأن الرواية بالمعنى رخص فيها من رخص لما كان عليهم في ضبط الألفاظ من الجرح، وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه الكتب، ولأنه إن ملك تغيير اللفظ، فليس يملك تصنيف غيره[٧٣].

والحمد لله رب العالمين

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلـــة الرابعة

المدارس الحديثية Modern schools

---

[٧٢] - انظر تدري بالراوي :١٠٢/٢ ، و مدرسة الحديث في البصرة: ٣٨٤ .

[٧٣] - المصدر السابق

عنوان المحاضرة : منهج البصريين في الجرح والتعديل

Optical approach to wound and modification

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد

تحدثنا سابقاً عن منهج مدرسة البصرة الحديثية وبيان موقف العلماء فيها فيما يتعلق ببيان حال الراوي ، وما دمنا تحدثنا بهذا الخصوص سنذكر هنا منهجهم في الجرح والتعديل ، إذ لم تكن جهود علماء البصرة منصبة إلى جمع الحديث وروايته، بقدر ما كانت متجهة نحو نقد الرجال، والتفتيش عن علل الأحاديث، فهذا عبد الرحمن بن مهدي يقول : " لأن أعرف علة حديث أحب إليّ من أكتب عشرين حديثاً ليس عندي"

هذا النص الذي بين يديك يشعرك أن وجهة مدرسة الحديث في البصرة ليس محصوراً في الحديث وكما قلنا ، بل أن لهم منهجاً مدروساً مخطط له .

واليك الآن هذا النص الذي يبين لك كيف أثر شعبة في المدرسة الحديثية في البصرة من حيث التشدد في موضوع نقد الرجال .

يكاد يغلب على منهجهم التشدد في الجرح، وعدم الأخذ الراوي كيفما اتفق ، وهذا بسبب أن أستاذ مدرسة البصرة في هذا الشأن وهو الحافظ شعبة بن الحجاج، وكان رحمه الله مشهوراً بتشدده في ذلك، يقول السخاوي: إن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط، فمن الأولى (شعبة ، والثوري) و شعبة أشدهما، ومن الثانية يحيى بن سعيد القطان وابن مهدي اي عبد الرحمن، ويجيى أشدهما[٧٤] .

ونأخذ مثالاً على ذلك ، روي عنه رحمه الله أنه جاء إلى المنهال بن عمرو ليسمع منه الحديث، فسمع من داره صوتاً، فتركه، قال ابن أبي حاتم: إنه سمع قراءة بالتطريب ونحوه ، وقد اعترض عليه تلميذه وهب بن جرير البصري، فقال له: فهلا سألته عسى كان لا يعلم ؟

أكيد اعترض عليه العلماء على هذه الشدة المفرطة، فكان يسقط حديث أي راوي مهما كان وضعه واسمه ، وهذا طبعا كله من أجل الحفاظ على حديث النبي صلى الله عليه وسلم وصيانته وسلامته من العابثين والكذابين ، ولكن ربما في بعض المواقف تكون شدته محل نظر .

عموماً الكثير من العلماء سار على نهج شعبة ولاسيما من علماء البصرة، فهذا يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، إلا أن يحيى كان أشدهما، ولعل راي ابن مهدي كان مقبولاً عند بعض الأئمة ومقدم على ابن القطان بسبب حدته وتشدده في النقد .

روى الخطيب البغدادي بسنده عن علي بن المديني، قال : " إذا اجتمع يحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي على ترك رجل لم أحدث عنه ، فإذا اختلفا أخذت بقول عبد الرحمن، وكان في يحيى تشدد "[٧٥] .

---

[٧٤] - كتاب المجروحين : ٣٠/١ .

[٧٥] - تاريخ بغداد : ١٠/ ٢٤٣ .

هذا النص يشعرك بالتشدد المطلق لدى هؤلاء الأئمة ، وهذا بالتأكيد حرصاً منهم على سلامة حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس إلا .

خلاصة القول : الحقيقة أنه كان في البصرة منهجان ؛ منهج متشدد، ويمثله شعبة بن الحجاج ومن تبعه، ومنهج معتدل يمثله عبد الرحمن بن مهدي ومن تبعه ومن أشهرهم إمام الجرح والتعديل في البصرة علي بن المديني، ومع ذلك فإن شعبة بن الحجاج، وإن كان متشدداً في الجرح والتعديل، فإن القواعد العامة التي وضعها فيمن يصلح أن يروي عنه كانت معتدلة جداً، ولم يعترض لها أحد بنقد أو تجريح، فقد سئل شعبة: من الذي يترك حديثه؟ قال : " من يتهم بالكذب، ومن يكثر الغلط، ومن يخطئ في حديث يجمع عليه، فلا يتهم نفسه ويقيم على غلطه، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون " [٧٦] .

ويروى عنه أيضاً أنه قال : " لا يجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ " [٧٧] .

والحمد لله رب العالمين

إنتهى .

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلـــــــة الرابعة

المدارس الحديث Modern schools

[٧٦] - فتح المغيث:١/٣٤٤ .
[٧٧] تدريب الراوي: ١/٣٣٩ .

متى يصح سماع الصغير When is it correct to hear the little one

الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد ..

ما زلنا في رحاب مدرسة الحديث في البصرة ننهل منها ونقطف من ثمارها الطيب ، وللبصريين مذهب مستقل في السن التي يصح عندها سماع الصغير، فخالفوا بذلك مذاهب بعض المدارس الأخرى، واشتهر في عرض هذه المذاهب قول موسى بن هارون : " أهل البصرة يكتبون لعشرة سنين، وأهل الكوفة لعشرين، وأهل الشام لثلاثين "[٧٨].

سنتعرض لهذه المسألة وبيان حال المذاهب الذين خالفوا أهل البصرة ، ونوضح الرأي الراجح وما استقر عليه العمل عند أصحاب الحديث، ولاسيما فهذه العصور المتأخرة .

مذهب أهل الشام في هذا : لم يجد هذا المذهب رواجاً أو قبولاً لدى العلماء، ذلك أن تحديده بسن الثلاثين قد خالف واقع حال رواة الحديث ، حيث أن أكثرهم قد طلب الحديث وسمعه دون هذا السن ، كما وأن هذا السن وتحديده بهذا – أي الثلاثين – كثير جدا وسيفوت الرواة الخير الكثير، لهذا نجد أن أعلام مدرسة الشام قد سمعوا الحديث دون سن الثلاثين، الأوزاعي روى عن محمد بن سيرين وهو دون سن الثلاثين، وغيرهم كثير ، لهذا لم يجد هذا الرأي قبولاً عند أهل الحديث .

مذهب الكوفيين :

قال الخطيب البغدادي: وقيل أن أهل الكوفة لم يكن الواحد منهم يسمع الحديث إلا بعد استكمال عشرين سنة، وقبل ذلك السن يشتغل بحفظ القرآن الكريم، والتعبد .

روى الخطيب بسنده عن سفيان الثوري، وهو كوفي- أنه قال: كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث، يتعبد قبل ذلك عشرين سنة.

وقبل لموسى بن إسحاق: كيف لم تكتب عن أبي نعيم؟ قال: كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب الحديث صغاراً حتى يستكملوا عشرين سنة[٧٩].

ونقل عن سفيان بن عيينة أنه قال: جلست إلى الزهري وأنا ابن ست عشرة سنة، فقال الزهري: ما رأيت أحداً يطلب هذا الشأن أصغر منه

ما حجتهم في ذلك ، علينا أولاً أن نفهم إن أية مسألة تعرض علينا يجب أن ننظر أولاً في حجتهم لنصرة مذهبهم ، ثم نقيم الأمر بعد ذلك بعد عرض أية مسألة على الدليل فإن وافقت بها ، وإلا فتهمل.

حجتهم في ذلك ، أن سن العشرين مجمع العقل ، روي عن أبي عبد الله الزبيري قال: يستحب كتب الحديث في العشرين، لأنها مجمع العقل، وأحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن .

---

[٧٨] - الكفاية في علوم الرواية: ١٠٤ .

[٧٩] - الكفاية : ١٠٤ .

وقال سفيان بن عيينة: يكمل عقل الغلام بالعشرين[٨٠].

أي أن العقل يكتمل نموه ونضوجه في هذه السن فيصبح قادراً على استيعاب علوم الحديث وطلبه .

من الواضح لم نجد أدلة تشفي الصدور لقبول أحد هاذين المذهبين إلى ما ذهبوا إليه ، فهي مجرد آراء ليست مستندة إلى دليل نقلي من أجل الأخذ بأحد القولين ، وكي لا نحكم سلفاً علينا أن ننظر في مذهب أهل البصرة ونسمع لرأيهم وما هي أدلتهم أو حججهم .

أهل البصرة قالوا: يصح السماع ممن سنه دون العشر، وهذا عملهم ، والمنهج الذي يسرون عليه، روى الرامهرمزي بسنده عن بعض البريين قال : مر رجل بحماد بن سلمة وحوله صبيان

فقال : يا أبا أسامة ما هذا ؟ قال : هؤلاء الذين يحفظون عليك أمر دينك .

واستدل علي بن المديني البصري، على صحة ما ذهبوا إليه فقال : حفظ المسور بن مخرمة، وهو ابن ثمان، وحفظ عمر بن أبي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين ، وكذلك السائب بن يزيد، وسهل بن أبي خيثمة، وثابت بن الضحاك الأشهلي، وهؤلاء أبناء ثمان سنين .[٨١]

واستدل الخطيب على صحة هذا المذهب ، بقوله : قد حفظ سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وكان يقول: كنت ابن خمس عشرة سنة حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان السماع لا يصح إلا بعد العشرين، لسقطت رواية كثير من أهل العلم .

وروى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم ومولده سنة اثنتين من الهجرة، وكذلك عبد الله بن الزبير بن العوام والنعمان بن بشير، وأبو الطفيل الكناني وغيرهم كثير .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، وهي بنت ست سنين وابتنى ها وهي بنت تسع، وروت عنه ما حفظته في ذلك الوقت.

والآن نذكر أقوى الأدلة على ذلك ، ما رواه البخاري وغيره من حديث محمود بن الربيع، قال : " عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس"[٨٢].

وعلق القاضي عياض عن هذا الحديث : " ولعلهم إنما رأوا أن هذه السن أقل ما يحصل به الضبط، وعقل ما يسمع وحفظه، وإلا فمرجوع ذلك للعادة ..... الخ .

قد بينا مذاهب المدارس في البلدان الثلاثة فكان الأول ضعيف جدا ومذهبهم لا يرتقي إلى قبول النفس له ولا حجة لديهم ولم يقبله علماء أهل الحديث ، وأما الثاني فكان للعقل فيه نصيب باعتبار نضوج العقل واكتماله وهو ما أسموه مجمع العقل وهذه أقوى حججهم على ما ذهبوا إليه ، أما

---

[٨٠] - الإلماع :٦٥ .
[٨١] - المحدث الفاصل :١٩٤ .
[٨٢] صحيح البخاري: ٢٩/١ ، كتاب العلم ، باب: متى يصح سماع الصغير .

الرأي الثالث وهو مذهب أهل البصرة فحجتهم فيما ذهبوا إليه أقوى وأمتن ، وهذا الرأي هو ما يميل القلب إليه، وهو ما رجحه العلماء في العصور المتأخرة ، وإليك بعض ما قاله هؤلاء :

قال السيوطي: هو الصواب ولاسيما في هذه الأزمان، بعد أن صار الملحوظ إبقاء سلسلة الإسناد التبكير بالسماع .

به يحصل النيل بالإسناد العالي عكس ما إذا تأخر إلى سن العشرين أو الثلاثين .

ويتابع السيوطي: التبكير بالسماع من حين يصح سماع الصغير، ويكتب الحديث وذلك يختلف باختلاف الأشخاص، ولا ينحصر في سن مخصوص .

وقال ابن الصلاح : وعلى هذا استقر العمل بين أهل الحديث، فيكتبون لابن خمس فصاعداً.

وقال النووي: والصواب اعتبار **التمييز** ، فإن فهم الخطاب، ورد الجواب، كان مميزاً صحيح السماع، وإلا فلا .

خلاصة المسألة : نرى أن الخلاف كان قائماً في تحديد السن التي يصح بها سماع الصغير في القرون الأولى، ولكن بعد أن دون الحديث، واستقرت مصطلحاته ، استقر العمل بين أهل الحديث على ما ذهب إليه البصريون، وهو صحة سماع الصغير، وأن الضابط في ذلك هو (التمييز) دون التقيد بسن معينة ، فإن حفظ الناس وإدراكاتهم تتفاوت بتفاوت درجة الذكاء والفطنة .

والحمد لله رب العالمين

تمت

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر: د. خلدون نوري إسماعيل

المرحلة: الرابعة .

اسم المادة: HadithSchools

اسم المادة: المدارس الحديثية

اسم المحاضرة : Scientific activity in the Hadith School in Kufa

أسم المحاضرة: النشاط العلمي في مدرسة الحديث في الكوفة .

المدرسة الثانية من مدارس الحديث في العراق، مدرسة الكوفة، وهي لا تقل شأناً عن أخواتها من المدارس الفرعية والتي تفرعت من المدرسة الأم وهي مدرسة الحديث العراقية .

هناك عوامل وأسباب ساعدت كثيراً النهوض بالحركة العلمية ، أو النشاط العلمي في الكوفة

ويمكن أن نجملها بالآتي:

٦. العناية الكبيرة والاهتمام بالكوفة من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث أنه أمر سعد بن أبي وقاص ﷺ بتمصيرها ، وكان يُعلي من شأن أهلها ويعرف لهم قدرها، وكان يقول : أهل الكوفة وجوه الناس، فأرسل إليهم عبد الله بن مسعود لنشر العلم فيها، وكذلك عمار بن ياسر ﷺ .
٧. ومن أهم الأسباب هو اتخاذ سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ من الكوفة مقراً له إبان خلافته، وزاد هذا مكانة للكوفة ، إذ اصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية، فأصبحت مركز جذب للعلماء، وكذا طلبته، فأعلى من شأنها وانتشر خبرها .
٨. الأمر الآخر كثرة الصحابة الكرام بالتوافد عليها، والاستقرار فيها، جعلها من الحواضر العلمية ، فهي بلا أدنى شك أصبحت مركزاً وقبلة للعلم ، وهناك نذكر أن عدد الوافدين من الصحابة للكوفة قدر بحوالي ألف وخمسمائة ، منهم ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أصحاب بدر، فلنا أن نتخيل كم من طلاب العلم توافد عليها ، وكم من التابعين تلقوا هذا العلم ونقلوه إلى ممن بعدهم . وبهذا يعرف قدر أهمية الكوفة .

٩. كذلك أصحاب ابن مسعود ، نحو علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع وغيرهم، إذ كان الدور الريادي في نشر وبث العلوم في الكوفة والمساهمة في الحراك العلمي ، وكانوا بحق سُرج لأهل الكوفة .

١٠. هذه الأمور وغيرها ساعدت وساهمت في نشأة المدارس العلمية ومنها الكوفة .

أما خصائص مدرسة الحديث في الكوفة :

ملامح هذه المدرسة كانت واضحة وظاهرة جلية، وثمة أمور تميز بها السند الكوفي عن غيره، والتي رفعت من شأنه تارة وأعلته أخرى منها :

٧. انتشار الوضع ، وخصوصاً في نصرتهم لرأيهم والتنقيص من مخالفيهم، وهذا أسوء ما مرت به مدرسة الحديث في الكوفة، المهم ينبغي إذا كان هناك خلاف بين المدارس أو بين العلماء ينتهي بالتي هي أحسن وذلك عن طريق طرح الأدلة بين الأطراف المتخاصمة ومن ثم الانصياع إلى الدليل والحجة والبرهان والإذعان للحق مهما كانت النتائج، ولكن هذا ما حدث .

٨. تعد الكوفة من أكثر الأمصار الإسلامية اشتهاراً بالتدليس، والتدليس كما هو معروف لديكم أشبه ما يكون بالتورية وطمس الخلل الذي قد يؤثر في أي شيء، وربما دلسوا في الإسناد من أجل العلو به وإسقاط من كان ضعيفاً في السند، وهكذا وكما هو معلوم عندكم ، وأظنكم مر عليكم التدليس بصوره وإشكاله، والله المستعان .

٩. من طباع أهل الكوفة أنهم يميلون إلى الرأي ولاسيما في اتجاههم الفقهي، حيث أنهم تفردوا عن غيرهم ببعض المسائل الفقهية، والتي لم يشترك معهم فيها أحد ، وهذا عائد إلى الرأي في تحكيمهم لبعض المسائل وكما وضحت .

١٠. أهل الكوفة يتميزون عن غيرهم في كثرة الرواية، وهذه الكثرة قد تؤثر سلباً على الرواية إذا لم تخضع لأصول وقواعد علم الرواية ، ولا سيما تمحيص الرواة وسبر أغوارهم للكشف عنهم، ولكن هذه المدرسة وعلى الرغم من كثرة رواياتهم إلا أنها كثيرة الدغل كثيرة العلل، وهذا ما قاله الزهري: " إن في حديث أهل الكوفة دغلاً كثيراً"

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " حديث أهل الكوفة مدخول" ، أي أدخل عليه الكثير من الخطأ والتحريف والتدليس .

لهذا هم يروون عن كل أحد ، فكثر عندهم المنكرات والأسانيد الواهيات في أخبارهم، لهذا قال مسلم: " حدثني محمد بن المثنى، قال: قال لي عبد الرحمن بن مهدي: يا أبا موسى هل أهل الكوفة يحدثون عن كل أحد؟ " وكأن هذا هو السؤال على ما أجبنا عليه آنفاً، فالتفتيش عن الشيوخ والرواة والوقوف على حالهم هو الذي ميز أهل الحديث عن غيرهم، بل كل العلوم الأخرى اتخذت منهج أهل الحديث في التثبت عما يروون .

١١. اشتهرت الكوفة بالفقه، فإذا ذكر الفقه، ذكرت الكوفة، لهذا نجد أن أساطين أهل الحديث في الكوفة على علم في الفقه وأكثرهم دراية به ، ولا ريب أن الفقه إذا انضم إلى الحفظ أي الحديث فهو مزية للتقديم عن غيرهم، قال وكيع لأصحابه: " أيما أحب إليكم حديث الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود، أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود؟، فقالوا : الأول، فقال: الأعمش، عن أبي وائل: شيخ عن شيخ، وسفيان عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة عن ابن مسعود: فقيه عن فقيه، وحديث يتداوله الفقهاء خير مما يتداوله الشيوخ "

١٢. للكوفة تأثير واضح في الخراسانيين، لأن أهل الكوفة هم الذين فتحوا هذه البلاد، فعلموهم القرآن ، والحديث ثم انتقل علمهم هذا إلى تلك البلد فتأثر منهج خرسان بمنهج أهل الكوفة، فقلما تجد إسناداً خراسانياً إلا وأصله كوفي

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

أسم المحاضرة: التدليس عند أهل الكوفة .

المحاضرة التاسعة/ للفصل الثاني .

ما موقف أهل الكوفة من التدليس ؟

والتدليس أنواع ، منه القطع، والعطف، وتدليس الشيوخ، وغيرها :

سنحاول شرح كل نوع من أنواع المرسل لنقف على حقيقة المرسل عند مدرسة الكوفة

أما تدليس القطع : ويسمى أيضاً تدليس الحذف: وهو أن يحذف الراوي أداة الرواية ، والأداة هنا صيغة الأداء أو السماع ، مقتصراً على ذكر اسم الراوي الذي لم يسمع منه:

ومثاله: ما فعله سفيان بن عيينة، فقد جلس يحدث فقال: الزهري، فقيل له: حدثكم الزهري، فسكت ، ثم قال: الزهري، فقيل له : سمعته من الزهري؟ .

السامع الآن للحديث لم يفهم ما يقصده ابن عيينه بقوله : الزهري، هل فهم أحد منكم هذا القول؟

إذ أراد التمويه والحذف ، فلما قال: الزهري، وقيل له : هل سمعته من الزهري؟ قال: لا ، ولا ممن سمعه من الزهري، ثم اسند الحديث.

وهذا يوهم السامع أن ابن عيينة سمع من الزهري، والصحيح أنه لم يسمعه لا من الزهري ولا ممن سمعه من الزهري.

وهكذا بقية الأنواع الذي يهمنا هنا ، هو تدليس الشيوخ، وهو أن يسمي الراوي شيخه، أو من فوقه، أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به، وهذا كله من باب التورية والخفاء حتى لا يفطن السامع عمن يحدث الراوي ، وهذا فيه نوع من الكذب، والهدف منه إبعاد أحد الشيوخ من السند لضعفه أو لغيره من الأسباب المعروفة لديكم وقد مرت عليكم في مصطلح الحديث .

ومن أهم الاسباب الداعية لذلك :

١. أن يكون شيخه أصغر منه سناً فمن الباب الحياء يستحي أن يسميه .
٢. أن يكون شيخه متأخر الوفاة بحيث شاركه في التلقي عنه من هو أصغر منه سناً

٣. أن يكون الشيخ ضعيف

٤. أو أحياناً يسميه أو يكنيه بما يوافق أسم أو كنيته أحد الثقات

وغيرها من اسباب التدليس .

خلاصة الكلام في تدليس أهل الكوفة:

عرفنا مما سبق أن مدرسة الكوفة أكثر المدارس تدليساً، ومع ذلك، فإن المدلسين فيها لا يتجاوزن (٤٣) شخصاً، منهم (١٩) رجلاً ممن لا يقدح التدليس في عدالتهم، وهم من أصحاب الطبقة الأولى والثانية، ولم يضعفهم أحد من العلماء .

ومنهم (١٤) شخصاً، أو راوياً ممن لم يدلسوا كثيراً واختلف العلماء في حكم روايتهم، وهم من الطبقة الثالثة .

و (٧) منهم ردت روايتهم لغير التدليس، وهم أصحاب الطبقة الخامسة

وأما الذين أكثروا من التدليس من أهل الكوفة، بحيث اتفق العلماء على ضرورة تصريحهم بالسماع فهم (٣) رواة ، وهم من الطبقة الرابعة .

فهذا العدد (٣) ، الذين دلسوا لا يتهم فيها أهل الكوفة ويطلق عليهم هذا الوصف .

هل كان الحديث في الكوفة قليلاً ؟

من خلال الاستقراء والتتبع يتضح لنا أن الحديث لم يكن قليلاً في الكوفة، بل العكس وتبين الآتي:

١. العدد الكبير الذي نزلها من قبل الصحابة الكرام أكثر من (١٥٠٠) ، وهذا العدد الكثير من المؤكد أنه يحمل الكثير الكثير من أحاديث النبي ﷺ، هذا إذا علمنا أن بينهم الكثير من علماء الصحابة ﷺ من فقهاء الصحابة الذين يحملون بين جنباتهم المئات من الأحاديث.

٢. نضيف لهم التابعين ولاسيما من محدثي الكوفة ممن تحملوا تلك العلوم والأحاديث من لدن الصحابة الكرام، بل معظمهم رحل لطلب العلم إلى الحجاز وتحملوا ما حملوه من العلم ما يدلل عكس من قال أن الحديث في الكوفة قليل ، فقد أورد ابن سعد في طبقاته اسماء التابعين من أهل الكوفة وعددهم(٢٠٢) الذين رووا عن كبار الصحابة في مكة والمدينة .

٣. ذكر الرامهرمزي بسنده إلى عفان قال: قدمنا الكوفة فأقمنا فيها أربعة أشهر، ولو أردنا أن نكتب مائة ألف حديث لكتبناها، فكتبنا خمسين ألف حديثاً.

وهذا ابن سيرين يقول: أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث .

٤. ساهم الحج أيضاً مساهمة كبيرة في انتشار الحديث حتى أصبحت أحاديث الحرمين مشتركة بين معظم الأمصار ..... الخ .

٥. قال الإمام البخاري: ولا أحصي ما دخلت الكوفة في طلب الحديث، وذلك حينما يذكر عدد ما دخل باقي الأمصار، وهذا ليس بالقول الهين ، إذ صدر من إمام أهل الصنعة.

٦. إتخاذها عاصمة للخلافة الإسلامية وقربها من الحجاز دليل على وفرة الحديث فيها .

وهذه أهم النتائج فيما يتعلق بمدرسة الكوفة .

١. نشأت مدرسة الحديث في الكوفة سنة(١٧)هـ ، وامتدت إلى نهاية القرن الثالث ، ثم أخذت بالانحسار شيئاً فشيئاً وبشكل سريع جداً.

٢. أن الكوفة كانت مركزاً هاماً من المراكز العلمية والتي ازدهرت فيها كافة العلوم الإسلامية .

٣. انتشار الرواية في الكوفة انتشاراً واسعاً جداً، ونسبة الأحاديث الصحيحة فيها نسبة عالية جداً .

٤. أن الكوفة شاركت بدورها في تدوين السنة وعلومها .

٥. كبار أئمة الحديث رحلوا إليها لطلب الحديث وترددوا عليها أكثر من مرة .

٦. نشاط أهل الكوفة في الرحلة إلى طلب العلم ولاسيما الحديث .

٧. لها مساهمات فعالة في استخراج مسائل مصطلح الحديث .

٨. التدليس نجده في أغلب المدارس وليس محصوراً في الكوفة لوحدها .

٩. انتشار الارسال في الكوفة كان أكثره صادراً عن إبراهيم النخغي وأن أكثر مراسيله صحيحة وهي أصحها على الإطلاق، ثم الشعبي الذي كان إرساله صحيحاً أيضاً.

بهذه المحاضرة انتهت مدرسة الكوفة ، وسنشرع إن شاء الله تعالى بمدرسة واسط ونسأله التوفيق لكم جميعاً .

مدرسة الحديث في واسط

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وبعد ..

من المدارس الحديثية العراقية ، مدرسة واسط ، وهي أحدى مدارس الحديث المهمة ولها آراءها وخصائصها ما تميزها عن باقي أخواتها من مدارس الحديث في العراق ، ولا بد من معرفة شيء عنها قبل البدء بتاريخها الحديث المميز.

سميت واسط لأنها تتوسط الكوفة والبصرة، وقد أسسها الحجاج بن يوسف الثقفي ، سنة (٧٨)هـ

وهي ذات شطرين ، حيث يقسمها نهر دجلة إلى نصفين، وأول من سكنها العرب وبقيت ردحاً من الزمن كذلك، وبعد وفاة الحجاج ، سمح لغير العرب من الأقوام بالسكنى فيها.

وقد سكنها الكثير من الصحابة الكرام قبل بنائها، مثل أنس بن مالك، ونافع مولى رسول الله ﷺ وأبي بن مالك، وغيرهم .

فهي حظيت باهتمام بالغ من قبل ولاة الأمور ، لما فيها من خير كثير، لاسيما تلك الثلة التي سكنتها ولاسيما من الصحابة الكرام، وكذلك الأتباع وغيرهم من العلماء وطلبة العلم.

آرائهم في الجرح والتعديل :

أولاً: بيان حال الراوي : يرى الكثير من علماء أهل واسط على ضرورة بيان حال الراوي إذا لم يكونوا من اهل الحديث ومؤهلون لحملة هذا العلم الشريف، لهذا يرون من الضروري تجريح الرواة ممن لم يعرف بأهليته لحمل الرواية عن النبي ﷺ

١. قال يحيى بن سعيد القطان: سألت شعبة وسفيان ومالكاً، وابن عيينة عن الرجل يتهم ولا يحفظ الحديث، فقالوا: بين أمره [٨٣]. هذا القول يعد من التأصيل للقواعد الحديثية المهمة للمدرسة العراقية ، والتي اتفقوا عليها بلا خلاف، والسبب أن هذا الأمر دين ، فيتعين لأهل الحديث أن يتبينوا جيداً ممن يحمل هذا الحديث أيحتج به أم لا .
٢. وقال شعبة : تعالوا نغتاب في الله عز وجل [٨٤].

طبعا هذا الكلام لا يشعر بالمراد به الغيبة التي نهانا عنها رسول الله ﷺ ، بل المقصود من هذا الكلام هو بيان حال الراوي هل هو من أهل الحديث ومن الثقات ، أم أنه خلاف ذلك ، لهذا ينظرون لكل الرواة حتى يعرفون أحوالهم من خلال التفتيش وسبر أحوالهم هل يقبل حديث أم يرد .

ثانياً: من آرائهم أيضاً: فيمن يترك حديثه

ولأن شعبة بن الحجاج يعد أيضاً من مدرسة واسط ، فإننا نعرف جيداً موقفه المتشدد في الجرح ، ودونكم مدرسة البصرة حتى تطلعوا على أقواله هناك ولا داع للتكرار والإعادة .

ثالثاً : ما هو موقف محدثي واسط بالذي يقبل التلقين .

التلقين وكما تعرفون أمر معيب عند أهل الحديث ، وهو أحد أسباب العلة ، فربما يأتي أحد الطلاب ويلقن الشيخ بما هو ليس من عنده ، فيظن الشيخ أن هذا من حديثه فيحدث به ، وهذه من الأمور الجسام التي وقع فيها الرواة .

---

[٨٣] - شرح علل الترمذي: ٣٥٣/١ .
[٨٤] - المصدر نفسه .

عموماً ، يقول يزيد بن هارون: كان عندنا شيخ بواسط، يحدث بحديث عن أنس بن مالك، فاشترى له بعض أصحاب الحديث كتاباً من السوق، في أوله حدثنا شريك وفي آخره اصحاب شريك الأعمش، ومنصور، وهؤلاء .

فجعل يقول حدثنا منصور حدثنا الأعمش، فقيل له : أين لقيت هؤلاء؟، فقيل : لعلك سمعت هذا من شريك؟، فقال الشيخ: حتى أقول لكم الصدق سمعت هذا من أنس بم مالك، عن شريك ! .

هذه الأمور ينبغي للشيخ التفطن بها والحذر كل الحذر من قبول التلقين ، وفيه صور كثيرة جداً، وهو أمر غير مقبول على الإطلاق عند أهل الحديث ، إلا إننا نجدهم قد رخصوا تلقين الضرير، وهذا جائز عند أهل واسط، ولكن بشرط أن يكون ذلك من أصل كتابه، وأن يثق بالملقن له .

لهذا نرى أن يزيد بن هارون حينما ذهب بصره أمر بالجارية لأن تقرأ له ويحفظ منها، علماً أنه كان حافظاً لكتابه، ولكن كان يثق بها فيما تقرأ عليه .

الرواية عن الصالحين وموقف أهل واسط منها :

كره أهل واسط أخذ الحديث من الصالحين غير الضابطين لحديثهم .

قال أبو عاصم النبيل: ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أسم المحاضرة : الرواية عن الضعفاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وبعد ...

ما زلنا في رحاب مدرسة واسط الحديثية ، ولا زلنا ننهل منها آراء علماء الحديث فيها

سنقف على قبولهم وتجوزهم لرواية الحديث عن الضعفاء .

في بعض الأحيان نرى أن أهل الحديث في واسط يتجوزون لرواية الحديث عن الضعفاء أحياناً، وقد لا يلتزمون بالصحة في نقلهم للحديث ، وهذا حسب ما يرونه فيما يتعلق بالجرح قد لا يثبت

في حق الراوي ولاسيما إذا لم يقترن بسبب ، أو لتوافر قرائن أخرى قد تفضي بغض النظر عن قبول مثل تلك الروايات دون غيرها .

قال شعبة : " لو لم أحدثكم إلا عن ثقة، لم أحدثكم عن ثلاثين " ، ذهب الخطيب البغدادي بهذا القول على أنه الصواب وإليه ذهب الأئمة من حفاظ الحديث ونقاده ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن الإمام البخاري ، وكذا الإمام مسلم، وغيرهم، نجد أن البخاري قد احتج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم منهم : عكرمة مولى بن عباس ، واسماعيل بن أبي أويس وغيرهم ، فقد احتج بهم الإمام البخاري في صحيحه ، علماً أن غيره قد جرحه بضعف روايته أو وصِفَ بالغفلة ، ووَهمٌ في الحديث ، أو سوء حفظ، أو ما شابه ذلك، من مراتب الجرح ، وكذلك الإمام مسلم حينما احتج بسويد بن سيد ، وضعفه غيره .

وهذا الأمر يحتاج إلى طول نظر في مروياتهم وطرق غيره حتى نقف على حاله والأسباب التي أدت الاحتجاج به من هذين العملاقين إماما المحدثين .

ما هو موقف أهل واسط ممن أختلط وتغير ؟

لا يسلم من هذا الأمر منم الرواة إلا من رحم الله ، لأن هذا الأمر مرهون بسبب الشيخوخة ، والشيخوخة آفة تصيب الإنسان بسبب تقدمه في العمر، أو لأمر قاهر خارج إرادة الإنسان ، كمرض أو غيره ، وربما يكون بسبب حرق كتب الشيخ ، لهذا وضع علماء الحديث قواعد وضوابط لهذا ومن بين تلك الأمور :

١. عطاء بن السائب أختلط في آخر عمره ، وعلى الرغم من ذلك فقد احتج أهل العلم برواية شعبة وسفيان عنه ، والسبب في ذلك أن سماعهم منه كان قديماً أي قبل الاختلاط .
٢. سماع المتقدمين من شريك النخعي، والذي كان يخطئ في آخر عمره ، فالذين سمعوا منه بواسط ليس فيه اختلاط أمثال يزيد بن هارون و وإسحاق الأزرق .

إذن من أختلط أو تغير في آخر عمره ، يصح منه قديماً قبل الاختلاط فيكون سماعه صحيحاً .

- فيما يتعلق بالسماع للصغير ، فموقفهم منه كموقف أهل البصرة ، فمتى عقل الصغير وضبط وصار يميز بين الأشياء صح السماع .
- كما أنهم جوزوا السماع ممن بلغ سن الثمانين ما لم يتغير .